مقدمة القرآن

بقلم القس ج . م . رودويل

الديباجة بقلم ج . مرجوليوت

يجب التسليم بأن القرآن قد احتل مركزاً مهماً بين كتب العالم الدينية . وبالرغم من أنه أحدثها فانه يوجب لنا إندهاشاً من عظم تأثيره على جموع كبيرة من الناس ، فقد تسبب فى إيجاد فكرة إنسانية من طراز جديد وفى خلق امة عظيمة من قبائل العرب الرحل الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب وإيضاقد كان السبب فى إيجاد النظام الدينى السياسى الذى يعترف بأثره كلا من الغرب والشرق

وسراهمية هذا الكتاب ناشىء عن العقل الذى أنشأه . ولم يكن القرآن فى بادىء الأمر كتابا بل صوتا رهيبا شرع وحذر ومنى وعلم . وهوكتاب ، قد نشر بعد موت النبى وقد كان قبل وفاته مجاميع من مذكرات وأقوال وتذكارات لدى السامعين فوالحالة هذه يكون الذى يتكلم عن القرآن إنما يتكلم عن محمد أيضا . وليس فى الامكان إيجاد تقارب بين المكتوب والكاتب مثل التقارب الكائن بين القرآن ومحمد . هناك أراء متنوعة عنه . فالمسلمون يسلمون بأن محمداً خاتم النبيين وأن القرآن تنزيل الحكيم وهناك من يتابع كارليل فيما ذكره عن محمد فى كتابه « الأبطال » وهناك أيضاً من يغمط محمدا والكتاب حقهما من الاكبار

أن قيمة أى دين تتوقف على مقدار الحقيقة الذى تحويه تعاليمه وعلى المستوى الخلقي المطلوب من معتنقيه الوصول اليه ، ثم بعدذلك يجب الالتفات إلى الجديد فيه أى الذى لم ينقل عمن سبقه . اما عن الوجهة الاولى فقد حوى الاسلام بعض حقائق إما اخلاقياته فتسبب لنا الدهش إذا بحثنا عنهامن حيث نحن الآن ، ولكنها تسبب لنا الرضا لوقارناها مع الأخلاق التى كانت متفشيه بين قبائل ذلك العصر . وقد حاول محمد أن يجعل أخلاقياته متابعه للادوار التى كان يلعبها بين فترة وأخرى وأما مادته فمأخوذة كلها من الوثنية ثم المسيحية واليهودية بشكلها فى ذلك العهد . وأما النسق فهو

وحده الذى يصح أن يقال أنه غير مستعار . وللقرآن ميزتان هو انه كان فاتحة لنسق أدبى جديد وكان السبب فى إيجاد فلسفة كانت الشغل الشاغل لمفكرى اليهود والنصارى طيلة عهد القرون الوسطى

إن نسق القرآن طريف لا يماثله أى نسق لغوى آخر، وأنك عند ما تسمعه يتلى تظنك تصغى إلى صوت أنبياء اسرائيل الأول . ولكن أول ما يلفت النظر اليه هو كثرة التكرار لدرجة المبالغة . وهو يحوى زيادة على ما سبق شيء كثير من اللفظ الوحشى

حقيقة أن جزأ من هذا يعود على عجزنا عن متابعة نفسية عصر النبى ، فاذا أردنا أن ننصفه وجب أن نرجع إلى ذلك العصر لنقدر على الحكم بانصاف . فقد كان يناضل بشجاعة وسط عقبات كثيرة . ولم يكن على شيء من الثقافة اللهم إلا بضع قصص وتقاليد وقف عليها بالسمع فلم يكن له مؤدب إلا نفسه

ويقول المسلمون أن القرآن أحسن شيء كتب ولا يجدون عيباً فى نسقه وكذلك يسلمون بصحة كل ما يحويه من مادة ويدعون أنه فى ذاته معجزة عظيمة

ج . مرجوليوث

المتن

ليس هناك قائل يزعم أن تنظيم سور القرآن كما يتبع فى الطبعات العربية أو الافرنكية يعود إلى تقاليد دينية أو حتى إلى إشارة من النبى لاتباع هذا النسق دون غيره

جمعت المتفرقات التى كون منها القرآن فى عهد أبى بكر بعد مرور عام على وفاة محمد ، لان عمر نصح بذلك لملاحظته أن الحفاظ والصحابة يموتون واحد إثر واحد خصوصاً فى حرب اليمامة (١٢ د) التى كادت تأتى على البقية الباقية منهم

وقد وقع الاختيار على زيد بن ثابت الانصاري لجمع شتاته من صدور الرجال ومن الاحجار الخ والظاهر أن القرآن الذى جمع وقتئذ أودع لدى حفصة أرملة محمد وكان المرجع الوحيد طيلة خلافة عمر وقد نقلت عنه عدة نسخ . ولكن اختلفت القراءات الامر الذى استفحل فى زمان عثمان وخوفا من اتساع الخرق وانقسام المسلمين كما سبق

واختلف اليهود والمسيحيون على النص ، بادر عثمان بتوحيد الأصول التى يؤخذ عنها فاناط بزيد السالف الذكر عملية ضبطه وفقا للقراءة المكية . وقد كلف ثلاثة أو اثنى عشر شخصاً لمعاونته . وقد نقلت عدة نسخ مضبوطة منه الى أركان الامبراطورية لاجل النقل عنها

والظاهر أن زيداً ورفاقه لم يجمعوا شتات القران اتباعاً لنسق مخصوص اللهم الا محاولة وضع أطول وأوفى السور فى الاول وبالرغم من أن هذه الطريقة ليس فيها شيء من الفن ولا الصنعة فانها لم تتبع تماماً

ومن الغريب أنهم وضعوا بعض السور المدنية المتأخرة قبل بعض السور المكية المتقدمة ويمكن ملاحظة أن السور القصيرة الأخيرة هى الأولى كذلك يلاحظ أن بعض الآيات المكية قد زجت ضمن السور المدينية وبالعكس . ويمكن والحالة هذه الحكم بأنهم رتبوا مادة الكتاب مما توصلت اليه أيديهم أولا بأول دون أن يبالوا اذا كان سياق الكلام متتابعاً أو منقطعاً ودون اهتمام بانسجام النسق ، فنتج عن هذه الحالة وجود نقط من المتعذر تتبعها لأنها متنافرة فى المعنى والنسق لا تتمشى مع روح الموضوع الذي رمى اليه مؤسس الاسلام . ويلاحظ أيضاً عدم محاولة هذه الجماعة انشاء جمل وصلية تجمع أقوالا متنافرة مرصوصة مع بعضها جنباً الى جنب وفى هذا شاهد على أمانة الجامعين واحترامهم للكتاب المنزل ولكن كان الأجدر بهم ألا يفعلون ذلك خدمة للتاريخ ومسايرة للروح التى أوحت بوضع الكتاب خصوصاً وأنه ليس من المرغوب فيه وجود النسخ والتناقض فى كتاب كهذا . وقد حاولت أن أنظم السور قدر الامكان وفقاً لتسلسل نزولها واعتمدت على رأى فيل Weil فى كتابه محمد الرسول Mohamed der Prophet وتطبيقاً للتاريخ المتداول عن سيرة محمد نفسه . كذلك اهتممت بما كتب ميور Muir فى حياة محمد Life of Mohamet وكذلك ما كتبه نولدكه Noldeke فى كتاب تاريخ القران Geschichte der Qeran ويلاحظ الانسان تبايناً غريباً بين السور الأولى والتالية والأخيرة

ترتيب السور حسب التنزيل

٩٦	العلق	٨٦	الطارق	٥١	الذاريات
١١٣	الفلق	١٣٠	العصر	٥٥	الرحمن
١١١	النصر	٨١	التكوير	٤٤	الدخان
٩٢	الليل	٧٨	النبأ	١٩	مريم
٩٧	القدر	٦٩	الحاقة	٦٧	الملك
٩٥	التين	٧٠	المعارج	٢٧	النمل
٨٢	الانفطار	٧٦	الانسان	١٦	النحل
٧٧	المرسلات	١٥	الحجر	٤٠	غافر
٨٣	المطففين	٧٢	الجن	٤٢	الشورى
٥٣	النجم	١٧	الاسراء	٤٦	الاحقاف
٧١	نوح	٤٥	الجاثية	٦٤	التغابن
٢٦	الشعراء	١٢	يوسف	٦١	الصف
٤٣	الزخرف	٣١	لقمان	٣٣	الاحزاب
٢٥	الفرقان	٧	الاعراف	٤٨	الفتح
٤١	فصلت	٩٨	البينة	٩	التوبة
١٤	ابراهيم	٣	آل عمران	٩٣	والضحى
٢٩	العنكبوت	٥٩	الحشر	١٠٩	الكافرون
٣٥	فاطر	٢٢	الحج	١٠٧	الماعون
٢	البقرة	٤٩	الحجرات	١٠٥	الفيل
٤٧	محمد	٧٣	المزمل	٨٠	عبس
٦٥	الطلاق	١	الفاتحة	١٠١	القارعة
٥٨	المجادلة	١٠٤	الهمزة	١٠٠	العاديات
١١٠	النصر	٩٠	البلد	٨٩	الفجر
٧٤	المدثر	٩١	الشمس	٥٢	الطور
١١٤	الناس	٨٥	البروج	٥٤	القمر
١٠٨	الكوثر	٨٤	الانشقاق	٥٠	ق
٦٨	القلم	٨٨	الغاشية	٣٨	ص

٢٣	المؤمنون	٩٤	الانشراح	٣٦	يس
١٨	الكهف	١١٢	الاخلاص	٢١	الانبياء
٣٠	الروم	١٠٢	التكاثر	٣٢	السجدة
٢٨	القصص	١٠٦	قريش	١١	هود
١٠	يونس	٨٧	الاعلى	٣٩	الزمر
٦	الانعام	٩٩	الزلزلة	٣٤	سبأ
٦٢	الجمعه	٧٩	النازعات	١٣	الرعد
٥٧	الحديد	٧٥	القيامة	٨	الانفال
٦٣	المنافقون	٥٦	الواقعه	٤	النساء
٦٦	التحريم	٣٧	الصافات	٢٤	النور
٥	المائدة	٢٠	طه	٦٠	الممتحنة

وانك تالى السورة رقم ٥٠ من النسق المبين أعلاه (سورة ق رقم ٤٥ على النسق المتبع) تجد الروح الشعرية متغلبة وفيها التهديد مخدراً ولكن عندما تزداد سطوة محمد تجده كثير الانذار عنيفاً فى حملاته مع عدم الاهتمام الى اتباع النسق الشعرى فقد فقدنا الشاعر حين برز النذير الذى حاول بسط نظريات اجتماعية وقد ذهبت ذكرى السماء وجهنم من طريق قص قصص اليهود

ثم قصص المسيحيين . وانك لتجد فى السور المدينية وعددها ٢٩ صراحة لم نعهدها من قبل ففيها نضال من اجل المبدأ الجديد . وانك لتجد الذى كان فى مكة مقنعا ناصحا قد انقلب فى المدينة مشرعا غازيا يملى وجوب اطاعته معتمداً على اسلحة خلاف قلم الكاتب الشاعر . ففي المدينة لم يجد الشعر له مجالا بل قد حل النثر مكانه مع ادماج بعض مقطعات شعرية هنا وهناك وقد كان فى مكة يدفع عن نفسه الشاعرية ولكنه فى المدينة كاد ان لا يحاول هذه المدافعة

وتتقابل فجأة مع الدعوة الى طاعة الله مع طاعة (رسوله) ورضاء الله مع رضاء (رسوله) مجتمعة معا وقد كانت دعوته سابقا منحصرة فى الله ، وانك لتجد الدعوة لذاته جلية فى السورة (٩ التوبة) الآية ١١٨ و ١٢٩

واعتقد ان اول ما يدور بخلد قارىء هذا الكتاب انه ابتدأه بروح الباحث

وراء الحقيقة ثم انقلب حالا على اتباع تعاليم مخصوصة ثم الى مشرع ومقنن كذلك من السهل ملاحظة ان نسق القرآن قد اهتم فيه بايجاد تأثير فى سامعه وليس على قارئه ومنه مواقف فجائية تجبر السامع للتروى ويمكن ان يقال ان نسق القرآن هو كالآتى :

نزول جبريل بالوحى والنبى حوالى الاربعين من عمره بينما كان مسيحيا الى جبل حراء القريب من مكة تلى ذلك (الفترة) حيث انتظر هبوط الملك مرة ثانية وقد قضى ثلاث سنوات لم يجمع فيها حوله سوى اربعين مؤمنا كانت اولاهن أمرأته خديجه وكان اهمهم خليفته ابو بكر

ثم قام النزاع بينه وبين المكيين وتبع ذلك ردح من الزمن حدثت فيها الرؤيا الثانية فقام يناضل الوثنية بشدة الامر الذى ادى لهجرة الحبش ثم التفت بعد وقت اخر الى القصص المسيحية واليهودية واظن أنه احتاج لزمن لتفهم مبادئهما قبل ان يشير اليهما . تبع ذلك اسلام عمر عام ٦١٧ ب . م ثم الرحيل الى الطائف عام ٦٢ب . م ولمحاولة اقناع الحجاج المدنيين فى مكة وجوب اعتناقهم للاسلام ثم نشره فى مدينتهم . وحدثت فى هذه السنة حادثتا الاسراء والمعراج وتبع ذلك صدور امره بالمهاجرة الى المدينة وكان ذلك فى ابريل ٦٢٢ ب . م وتحوى هذه المهاجرة خبر التجائه مع ابى بكر فى الغار وكان ذلك فى ٢٠ يونيو سنة ٦٢٢ ب . م ثم عقب ذلك معاهداته مع القبائل المسيحية فموقعة بدر وموقعة احد ثم اتحاد اليهود والمشركين ضده ٦٢٧ ب م وما تبع ذلك من حصار المدينة ثم معاهدة الحديبية وارساله الوفود الى خسروانوشروان ملك العجم (فى نفس السنة) والى حاكم مصر والى ملك الحبش داعيا الى الاسلام ثم محاربته للقبائل اليهودية ومنها قبيلة خيبر ثم ارسل وفوده الى هرقل والى سوريا ثم حجه للكعبه سنة ٦٣٠ ب م وهدمه لاوثانها وتسليم نصارى نجران وعيله والطائف واتته الوفود مستسلمة من حضرموت واليمن ثم تأمين الحج فكل هذه النقط تساعد على تنظيم السور نظاما تاريخيا انما ما يسبب التعب حقا هو وضع الآيات المستقلة الموضوعة لمناسبات فى مواضيعها الحقيقية ويجوز ان محمدا نفسه قد ضم ايات سابقة باخرى لاحقه فى مناسبات خاصة لرغبته فى التخفيف من تأثير قوة السابقة . وهذه الفترة هى التى اكثر فيها من ذكر الغفران والاشارة الى العذاب المقبل

ومن الغريب ان حوادث محمد نفسها لم تذكر فى القران الذى لا يحوى الا اشارة

بسيطة عن اثنين من اتباعه كذلك النص لم يحو اسم محمد الا خمس مرات مع انك تجد جبريل يخاطبه بقوله : اقرأ : و يا أيها المدثر : كثيرا (راجع السورة ٢ ر ١٥ و ٥ ر ٢٤٦ على وجه الخصوص)

ومن المعقول انهم لم يهتموا بجمع تاريخ محمد ولا اقواله الا بعد مايقرب من قرن من الزمن وقد جمع ذلك فيما بعد مما هو متداول بعد ان مزج باغراض وغايات وقد اختلقوا اقوالا وقصصا نسبوها اليه وحاولوا تفسير القران مستندين عليها وذلك لخدمة بعض اغراض رمى اليها الامويون ، العباسيون

وقد ظهر فى عهد الخليفة الخامس ثلاثة ائمة لا يزالون المعتمد الذى نستند اليه فى التثبت من اخبار واقوال محمد . ولا يمكن أخذ اقوالهم قضية مسلمة لانها كانت ترمى لاثبات آراء فقهية معينة وكانت تحاول طمس حق على وخلفائه فى الخلافة وكذلك حشوا ضمن ما جمعوه بعض معجزات لم يذكرعنها القران شيئا . هنا اذا لم نقل بان القرآن صريح فى نفى حدوث اية معجزة . ويجب على المسلم ان لا يسلم بصحة حديث او سنه الا اذا تنوقلت عن مصادر امينة مع موافقتها . لروح النص . ولكن هناك اشياء لا يمكن التثبت منها اذا عدنا لمعانى القران الا بالتأويل

واول من كتب عن محمد رجل اسمه الزهرى ماتفى سن ٧٢ عام ١٢٤ هجرية ولم يبق من آثاره شيء الا ما ذكر فى كتب خلفائه عنه وقد اعتمد على عروة المتوفى سنة ٩٤ وكان من اقرباء عائشة زوج النبي

وتبعه ابن اسحق احد مستمعيه ومات سنة ١٥١ ﻫ وهذا الذي كتب تاريخ محمد للخليفة المنصور وبقيت لنا اثار منه بنى عليها ابن هشام تاريخه وقدمات هذا الاخير عام ٢١٣ ﻫ

ثم كتب الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ ﻫ تاريخا وصل الينا مختصر عنه بقلم الكاتب

وكتب الطبرى تاريخ العرب وقد مات سنة ٣١٠ ﻫ وله حوليات عن محمد فهؤلاء الكتاب القدماء هم المصدر الذى نأخذ عنه معلوماتنا عن حياة محمد وليس من العلم فى شيء الاعتماد على رجل مثل ابى الفداء الذى نقل المتواتر وفند مايصح تفنيده منه

ولكن من السهل ملاحظة التطابق الكائن بين قصص القرآن و بين التلمود العبرى مثلا واستنتاج التحوير الذى اوجد فى بعض القصص . وكذلك نجد تطابقا بين قصص النصارى العرب وبين ما ذكر فى القرآن

وقد امتنع الناس أخيراً عن الشك فى تنزيل القرآن . ولكن حال حياة محمد قال المكيون إن القول قول شاعر وانه حديث ساحر (سور ٣٦ و ٢٥ و ١٧) وانه مجموعة أقاويل كاذبة وزعموا أ سليمان الفارسى هو الذى أفهم محمداً فكرة النعيم وجهنم المذكوره فى الزند افستا (كتاب الزرادشتيين) وان راهبا مسيحيا أسمه سرجيوس (بحيره) هو الذى أفهمه روح المسيحيه وقد يكون غيره من المسيحيين وخصوصا العبيد منهم من ضمن من أفهموه بعض ما علمه . ويقال إن امرأته خديجه وقريبها ورقة كانا مسيحيين . هذا بخلاف وقوف أتباعه على تعاليم المسيحيه واليهوديه . كذلك كان بعض العرب من معتنقى هذه الاديان . ويجب لا ننسى بأن محمدا قد رافق عمه ابى طالب مرتين فى رحلاته ولاشك أنه قد اتصل فى كل مرة ببعض اتباع المسيحيه الشرقية

يجدر بنا هنا الاشارة الى انه كان فى عصره وقبله بعض سكان مكه من الباحثين مثل زيد واميه (الطائف) وورقة وكانوا متذمرين من تعاليم الوسط الدينيه لما رأوه من ميزات المسيحيه واليهوديه فحاولوا ايجاد بعض تعاليم ارقى ومن ضمن اتباع محمد يمكن تسمية أثنى عشر رجلا بالاقل كانوا ينتمون الى الحنيفيه التي تقول بالاله الواحد وتعتبر انها من ذريه ابراهيم مؤسس دينهم وقد صرح محمد انه من الحنيفيه (وليس الحنيفية) (النحل ١٢٠) - (راجع الحنيفية فى الفهرست الموجودة منه نسخة خطية فى مكتبة باريس تحت رقم ٨٧٤) - ويعتقد علماء الاديان ان نسخة الفهرست هذه كانت ملكا للخليفه المأمون وفى هذه النسخه يسمون الحنيفية الصابئة وهم اصحاب صحف ابراهيم فمن هذه الصحف نقل محمد قصتي عاد و ثمود و من المعقول ان محمدا كان من اتباع الحنيفية ثم خرج عليها ودعى الى الاسلام وقد قيل ان ورقة كان تابعا لمحمد حتى خرج عن الحنيفية فتخلى عنه ويظهر ان محمدا قد خلط ما بين تعاليم الادريين Gnostics بالمسيحيه وظنها منها ولذلك رغبة منه فى التقرب من اليهود انكر حادثة صلب المسيح ودعى اليهود الى السليم بحقيقة المسيح كما ذكرها هو فى كتابه وانه رفع الى السماء كما رفع بعض انبياء اسرئيل

وكانت الصابئه تتجه صوب بيت المقدس فى صلاتها وهذا ما كان يفعله محمد فى المبدإ لمدة ١٢ سنة وكذلك الغسل كما هو معروف فى الاسلام اصله صابئ وانك لتجد فى (سورة ١١/١٠٥) نبذة طويلة منقولة عن الكتاب المقدس حرفيا

بخلاف نبذ قصيره اخرى موجودة هنا وهناك كذلك راجع (التثنية ٢٦/٤١-١٧ بطرس اول ٥/٢) بالسورة (١٤/٥٠)والسورة(٥/٧٣) يوحنا(٧/١٥) ومتى (١٤/٣٦ ويوحنا ٧/٢٧)فى لفظتى امى والساعه

حقيقة لم يكن الكتاب المقدس قد ترجم فى ذلك العهد ولكن هذا لا يمنع من أن العرب النصارى واليهود كانوا واقفين على محتوياته وهذا الذى دعا محمداً الى الاهتمام بنقل القصص دون بقية التعاليم نقلا مطولا

وقد ذكر محمد فى موقع واحد (الاحقاف/١٠) أن أحد اليهود كان شاهدا على رسالته كذلك راجع سورة (٦/٢٠ و٢/١٣ و ٩٨) وسورة (٢٥/٥ و٦)

ومع كل ما سبق لا يمكن لنا اتهام محمد فى اخلاصه للعمل على انتشال قومه من عبادة الاوثان إذ كان له دافع روحى قوى للجهر بما جهر به مقتنعا انه انما ينفذ ارادة الله . وقد أزداد نجاحه من يقينه . والا لما وقف موجها لوجه امام الاضطهاد دون ان يتقهقر

حقيقة كانت بلاد العرب مستعدة لاقتبال آراء جديدة قبل قيام محمد بدعوته وكانت النظريات موجودة لا ينقص الا جمعها والجهر بها فالاسلام كان ضرورة لابد من وقوعها

وقد ساعدت محمداً استقامته وأمانته على الحلول فى المحل الذى تمكن من ملئه بنجاح حتى أصبح أحد الذين كان لهم أثر عظيم فى رفع شأو الاخلاق والايمان. وقد كان حقا رجلا عظيما بكل ما فى الكلمة من معنى وقد سهلت له الظروف النجاح فى مهمته فمن الغبن أن يقوم بعض رجال من الغرب لمحاولة النيل من عمله العظيم واتهامه بأنه . . . وكل ما يمكن للمسيحى أن يقوله عنه أنه مخطىء والخطأ لا ينفى العظمة وقوة الاخلاق

كذلك يجب الاعتراف بأن القرآن جدير بالاهتمام لما حواه من النظريات العالية والارشادات القيمة . فهو الروح الذى غير تلك الامة الفقيرة الجاهلة الى أمة ذات مدنية زاهرة بسطت جناحها على منطقة تحد غربا باسبانيا وشرقا بحدود الهند فقد انقلب الرعاة البسطاء ما بين طرفة عين الى مؤسسى امبراطورية عظيمة مرصعة بالمدن الكبيرة وهم الذين جمعوا المكاتب القيمة . وهل من ينكر العظمة التى وصلت اليها الفسطاط وبغداد وقرطبة ودلهى ؟ وللقرآن مقام محترم كقانون راق نسبيا لعصره وكهاد دينى وكعمل لاسم الله فى وسط كان يعبد الاوثان

ويجب أن لا تنسى أوروبا أنها مدينة لهذا الكتاب ولهذا النبي بشمس العلم التي أطلت على أرجائها فتقشعت ظلمات القرون الوسطى وكفى القرآن فخرا أن يحوى كلاما مثل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

مترجمة ع . ع

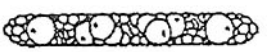

دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى بالظاهر بمصر

على استعداد كامل

لطبع الكتب عربية وافرنجية

والمجلات فى احسن ثوب مع المحافظة على المواعيد والاتقان التام

وبها جميع الاستعدادات التى تمكنها من تلبية كل الطلبات التى

تطلب منها فى اقرب وقت